جريمة قتل الوالدين وعقوبتها في ضوء القرآن والسنة

د/ شحات حسيب الفيومي
قسم التفسير والحديث

عصفت بالبيئة البشرية في الآونة الأخيرة آفة زلزلت أفئدة البشر هذه الآفة لم تألفها الإنسانية من قبل بهذه الصورة وهي قتل الأبناء للآباء والأمهات وهذه الظاهرة الشاذة ظهرت في مصر وكان لها وقعها على النفوس البشرية ووطأتها على قلوب كل من قرأها وبات الآباء والأمهات يرسلون إلى وسائل الإعلام رسالات لا يحصيها العد في كيفية معاملة الأبناء لاسيما في مرحلة المراهقة. التي تأتي بشرورها وتمردها. فغالبا ما يكثر صرف الإبن على السلوك الذي تربى في ظله. ويكثر إعراضه على جو الأسرة التي يقع فيها ولقد تضافرت أسباب متعددة متباينة في ظهور تلك الظاهرة النادرة في البيئة الإنسانيه:

السبب الأول: ضعف الرباط الفطري بين الأبوين وبين ابنهما ويرجع ذلك إلى عدم إعطاء الطفل حقه من الرضاعة فمن أجل حفاظ الأم على صحتها وأناقتها وعدم كبر ثديها حرمت الابن من حقه الفطري وباتت تغذيه بالألبان المجففة المستوردة. وقد يرجع حرمانه من الرضاعة إلى عمل الأم من الساعة التاسعة إلى الساعة الثانية بعد الظهر لا ترى الأم ولدها في تلك الفترة لبعد ما بين العمل والمنزل تدعه في دور الحضانات ففيها تئد الأمهات الحنان ولقد نشأت مقابر الحنان — دور الحضانة — في كل بلد تقبل من عمر ثلاثة أشهر إلى أربع سنوات ويرى السائرون في شوارع القاهرة بعض

الأمهات يحملن أولادهن فى سرير أشبه بالحقيبة اليدوية دون ضمه إلى صدرها فما الفرق بين هذا الابن وبين ما فى الحقيبة ؟

وعند رواح الأم إلى بيتها تأتى منهكة من مشقة الطريق ومسئولية العمل الفكرية والجسمانية فلا تستطيع أن ترعى ولدها حق رعايته . وقد يرجع الحرمان وعدم الرعاية إلى إنفصال الأبوين فتترك الأم الولد لوالده إنتقاما منه فيقوم الأب بتربيته .

علاج هذا السبب :

لقد وضع الله سبحانه وتعالى أساسا لهذا الرباط قال تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة)(١) فهذه الآية قد اشتملت على أسلوب خبرى تضمن الأمر بإرضاع الأولاد . فالأم ترضع اللبأ(٢) مصحوبا بالدفء والحنان الذى يفعل فعل السحر فى الارتباط بين الطفل وأمه بالإضافة إلى ما يفعله لبنها من تجنيب الطفل الأمراض المتباينة ولقد بينت الآية المدة المثلى فى الرضاعة وهى سنتان كاملتان فالأم إذا توخت هذا الإرشاد فإنه يصير سويا دون أن تترك فى الطفل شذوذا فالشذوذ ينشأ عن الزيادة فى المدة القرآنية أو نقصانها فان زادت المدة على حولين أورثت الطفل عادة سيئة تجعل لذته فى تناول الأشياء عن طريق فمه فيتناول بعض أعضاء المرأة عن طريقه لأنه نما وقد تجاوز حد المدة وهو يرضع فلا يشفطم فى شبابه وإن نقصت المدة تركت فى الطفل شذوذا لأنه يشعر بنقصان فى رضاعته فيظل يطلب تلك الرغبة الجامحة فيضع إصبعه فى فمه لتعويض ما فقده وتنمو تلك الرغبة حتى تلازمه فى شبابه

---

(١) البقرة آية ٢٣٣

(٢) اللبأ - وزن عنب وهو الرسوب .

فيتناول أعضاء المرأة بفمه ولقد سبق القرآن شيخ علماء النفس(١) فى العصر الحديث حين بين المدة المثلى للرضاعة .

فإذا أعطت الأم ولدها حقه صار رباطا قويا يربط الأم بولدها فيضعها فى مقام التقديس وإذا اشتد عوده فلا يفكر فى إيلامها أو إيذائها . وعلى الدولة أن تعطى العاملات بعضا من راتبهن حتى يتفرغن لأولادهن فهم المستقبل لهذا البلد .

السبب الثانى : سوء معاملة الوالدين للولد :

قد يسيء الوالدان العلاقة بالولد فيشذان عن الطبيعة البشرية فقد يحاول أحد الوالدين التخلص منه وهناك أمثلة على ذلك (فى الطابق الأول من مستشفى بورتيما وفى البرتغال ترقد امرأة منهكة القـــوى فى فراشها أسمها كورنيا دالمابراس عمرها ٣٨ عاما ولكن يصعب أن تعطى هذا الوجه المنتفخ المجهد عمرا لقد أنجبت ٢٥ طفلا من قبل ماذا حدث لهم ؟ باعهم زوجى باع أحدهم لأسرة لا تنجب مقابل خمسة آلاف جنيه وأعطى آخر لأسرة مقابل فستان وحذاء وتبنت أسرة ألمانية طفلين ويعيش اثنان فى بورتو فى البرتغال أما الطفلة الوليدة فقد تعاقدت على تبنيها أسرة من ضواحى لشبونه حملوها معهم صبيحة مولدها ولكنها احتفظت بهليـــدر الصغير ست سنوات الآن)(٢)

والمثال الثانى : لأم نمساوية تزوجت من رجل مصرى أنجبت طفلين وقتلتهما (وبدأت نيابة الهـــرم أمس التحقيق مع سابينا أنا ماريا الأم النمساوية التى قتلت طفليها خالدا وكريم ثم حاولت الانتحـــار وتناولت

---

(١) فرويد وهو عالم نمساوى .
(٢) جريدة الأخبار الصادرة فى يوم ١٩٨٤/٤/٢٤

أقراصا مخدرة لم تتمكن الغيابة من استجوابها وقرر زوج المتهمة ووالد الطفلين أن زوجته أصيبت بحالة اكتئاب نفسى منذ ثلاثة أسابيع قالت الزوجة فى خطاب لأمها بأنها ذبحت أولادها خشية ألا تتوافر لهما السعادة .

وقدم زوجها للمهندس مصطفى محمد حسن خطابين لوكيل النيابة قرر أنه عثر عليهما على مائدة بجاورة لباب الشقة وهما من زوجته المتهمة تقول الأم فى الخطاب الأول الذى تركته لزوجها إنها تعانى من أزمة نفسية شديدة وأنها طعنت طفلها خالدا — سنتان — ٩ طعنات بالسكين كما طعنت ابنها كريم — ٥ سنوات — ٥ طعنات . والخطاب الثانى كان موجها إلى والدتها المقيمة بالنمسا تحكى لها ظروف الأزمة النفسية التى مرت بها والتى انتهت بقتل طفليها وانتحارها وقالت فى الخطاب إنها قتلتهما لأنها تخشى ألا يعيشا سعيدين بعد وفاتها وأنهما مقتنعة بالانتحار لأنهما لم تعرف الطريق إلى الله)(١) .

والمثال الثالث : (قتل مواطن سودانى أطفاله الأربعة فى أبشع جريمة تشهدها الخرطوم وذكر القاتل واسمه خميس مسكين أنه ارتكب فعلته تنفيذا لأوامر تلقاها من السماء وقد هشم الأب رؤس أبنائه الأربعة الذين تتراوح أعمارهم ما بين أربع وتسع سنوات بالساطور ثم القبض على الأب)(٢) .

أما الأمثلة الباقية فهى معلومة لكل مصرى ووقعت فى البيئة المصرية فقد تكرر قتل الأبناء لأحد الوالدين وبالعكس .

---

(١) جريدة الأخبار الصادره فى يوم ١٠ / ٩ / ١٩٨٤

(٢) جريدة الأخبار الصادرة فى يوم ١٢ / ١٢ / ١٩٨٤

علاج هذا السبب :

لقد جعل الله الوالدين رحمة للإبن فهو لا يملك شيئا سوى والديه يجد فى كنفهما الروح والريحان ويشعر فى وجودهما بدفء الحياة وفى عدمهما بالمرارة وشدة الحرمان يعبر عن ظلمها الأشعث بن قيس حين علم بخلاف وقع بين معاوية وولده يزيد فأرسل إليه معاوية فلما وصل قال له يا أبا بحر ما تقول فى الولد قال يا أمير المؤمنين(ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة فإن طلبوا فأعطهم وإن غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا ثقيلا فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معاوية لله أنت يا أحنف لقد دخلت على وأنا مملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الأحنف من عنده رضى عن يزيد وبعث إليه بمائتى ألف درهم ومائتى ثوب)[1] .

فللإبن ماليس لغيره وإذا لم يجد الولد الراحة والحنان فى كنف والديه ففى أى صدر يجدهما ؟ أجل . له حقه من التقبيل وهو سنة للإنسان فيها أجر لقد (قبل الرسول ﷺ الحسن بن على وعنده الأقرع بن حابس التميمى جالسا فقال الأقرع إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً فنظر إليه الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال « من لا يرحم لا يرحم »)[2] .

وله حق اللعب مع والديه ولقد ضرب الرسول ﷺ المثل لذلك وهو فى الصلاة ومع هذا أعطى حفيده حقه يقول عبد الله بن شداد(بينما رسول

---

(١) إحياء علوم الدين حـ ١ ص ٢١٩

(٢) رواه البخارى

الله ﷺ يصلى بالناس إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر فقال «إن ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته»(١) .

وله الرحمة من والديه فى ظلها يعيش الطفل آمنا بريئا من القلق والاضطراب النفسى فمن لم يرحم الصغير يكون مخالفا لما جاء به الإسلام من الفطرة السليمة قال عليه السلام (من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا)(٢) .

وللوالدين أن يساويا بين الأبناء فى المعاملة فلا يؤثر أحدهما على آخر فهذا الأسلوب يغرس فى نفس الأولاد الغيرة والحقد على أخيه وأبيه ولقد ساق القرآن حال أسرة وقع فيها إيثار الأب بعض أبنائه على بعض فجلب التفرق والحزن لهذه الأسرة قال تعالى حاكيا سر محاولة قتل إخوة يوسف لأخيهم (لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين . إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفى ضلال مبين . أقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين) .

فمع نبوة يعقوب ونشأة الأبناء فى ظل وحى سماوى فقد تحركت فيهم ظاهرة الغيرة وقال بعضهم لبعض اقتلوا يوسف أو ابعدوه إلى أرض نائية لا يرجى له أوبة فيكون فى ضمير الوجود عند ذلك يخلو الأب لهم ولقد أثمرت نشأتهم تحت سماء الوحى الإلهى فعزموا على التوبة قبل أن يخوضوا فى الذنب (وتكونوا من بعده قوما صالحين) ولم يذنب يعقوب

---

(١) رواه النسائى
(٢) رواه أبو داود

بسلوكه هذا مع أبنائه فلقد كان يوسف وأخوه عليهما السلام فى مرحلة الطفولة المتأخرة وإخوته فى مرحلة الرجولة فكان يعطيه حقه من العطف والحنان فإيثار بعض الأبناء على بعض يجعل الأسرة فى مهب رياح الأنفس البشرية التى تفتك بالأخ والأب والأم ولهذا جعل الرسول ﷺ عطية بعض الأبناء دون البعض جورا .

السبب الثالث : سوء تربية الأبناء .

يقصر بعض الآباء والأمهات فى تربية الأبناء فيتركونهم يسيرون فى حياتهم دون تقويم . قوانينهم أهواؤهم ولذتهم فى عبثهم فيدرجون على ما تعودوا عليه من التسيب والاعتداء على الوالدين فى الصغر يقذفون الوالدين بالحصى ويرمونهما بالشتم واللعن وفى الكبر لا يتخلصون من عاداتهم تجاه أهليهم ولقد أمر الله تعالى بتربيتهم تربية حسنة قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)(١) .

فهذه الآية تحمل معنى ثانويا ملازما للمعنى الأصلى . فالمعنى الأصلى الأمر بطاعة الله واجتناب معاصيه . وكذلك يأمر الوالدان ولدهما بالطاعة واجتناب المعصية فيكون قد وقى نفسه وأهله . والمعنى الثانوى لهذه الآية هو تربية الأبناء تربية حسنة عند ذلك يكون قد وقى أولاده من النار . ولقد ساق القرآن الكريم منهجا للتربية الإنسانية مبينا خطواتها فى قصة لقمان قال تعالى (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم . ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن

(١) التحريم آية ٦

وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون . يابنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أوفى السموات أوفى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير . يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك إن ذلك من عزم الأمور . ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً إن الله لايحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير)(١) .

قبل الحديث عن منهج التربية نجد أن الذى وضع هذا المنهج هو لقمان وقد استمده من الله تعالى قال الله قبل تلك الآيات (ولقد آتينا لقمان الحكمة) ولقمان هو ابن باعوراء من أولاد آزر ابن أخت أيوب عليه السلام أو ابن خالته وعاش حتى أدرك داود عليه السلام وهو محل نزاع بين العلماء هل كان حكيما أم كان نبياً ؟ قال جمهرة العلماء إنه كان حكيما وقال آخرون إنه نبى ولقد وضع هذا المنهج لولده فى تربيته وأرجح أنه كان يضع له هذا المنهج وولده صغير لأن كلمة (بنى) تصغير (ابن) لأن أصلها بنو وهذا المنهج : —

أولا : دعوة ولده إلى التوحيد وتنفيره من الشرك . وبهذا الأسلوب يكون قد وجهه إلى أسمى اعتقاد فى الوجود .

ثانياً : دعوته إلى الإحسان إلى الوالدين وبرهما فلقد أتت جملة (ووصينا) وما تلاها معترضة على نهج الاستطراد أثناء منهج التربية تأكيداً على علاقة الإحسان إلى الوالدين .

ثالثاً : لفت انتباه ولده إلى علم الله فعالم الشهادة وعالم الخفاء فى علم الله

---

(١) لقمان آية ١٣ — ١٩

سواء . وهذا الأسلوب يمنع الولد من ارتكاب محرم عندما يخلو بنفسه بعيداً عن أعين الناس .

رابعاً : ربطه بالله تعالى برأس الطاعات وهى الصلاة فبها يرفع العبد إلى أعلى الدرجات وتحط عنه السيئات ولذلك أمر الرسول ﷺ الآباء بالمداومة على أمر أولادهم بالصلاة فى مرحلة الطفولة بنوعيها قال عليه السلام (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع)[1] .

خامساً : أمر الابن أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لأن المنكر لو ترك دون مقاومة لساد وإذا عم استأصل العذاب الطالح والصالح .

سادساً : أمر الإبن بالصبر لأنه خير دواء لكل آلام الحياة وخير سلاح لصيال الشيطان والأهواء البشرية وهذه المناهج من إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والصبر مما عزمه الله وقطعه على عباده وذكرت تلك الأمور دون بقية الفضائل لمزيد مزيتها .

سابعاً : نهاه عن الكبر والاعتدال فى السير حتى لايشذ عن المألوف لدى الناس فى مشيتهم فالله تعالى يبغض كل مختال فخور .

ثامناً : أمره أن يخفض من صوته وأن يكثر من الصمت فى مواضعه فإذا ارتفعت الأصوات صارت كأصوات الحمير تمجها الطباع السليمة .

السبب الرابع : مساهمة وسائل الإعلام فى نشر أساليب الجريمة .

لقد لعبت وسائل الأعلام دوراً فعل فى النفوس فعل السحر فالتلفاز طرق كل بيت وفاز بتحلق كل أسرة حوله معظم الوقت وانتشرت دور

---

(١) رواه الدارقطنى وهو جزء من حديث .

السينما فى المجتمع انتشار النار فى الهشيم ومع هذا البلاء يطالب بعض الممثلين بانتشار هذه البيوت فى كل قرية وإذا نظرنا إلى هاتين الوسيلتين نجد أنهما ينشران الأفلام التى تبث القصص الهادفة فى نظر القائمين عليهما وهى تقتل الفضيلة وتحيى الرذيلة لأنها تصور المجرم وهو يقوم بجريمته وأسلوب تنفيذه لها فيحفظها الناس ويعيها الأطفال. أو تهدف تلك الأفلام إلى نشر فضيلة أو مقاومة جريمة ولكن كثرة زحام المواضيع لتطويل الفيلم . ينسى المشاهد الهدف منـــه وإذا نظرنا إلى المسلسلات التى يبثها التلفاز تجد الألفاظ التى تخرج من القائمين بالأدوار فيها تخالف المألوف عند الناس . تراها فى الصباح وقد أذيعت مساء على ألسنة الناس يتداولونها بينهم فبعض الناس يحاكون مايشاهدونه ويطبقونه ونموذج ذلك حين يصور الفيلم صورة المجرم وقد قام بتنفيذ جريمته ويصل إلى موطن الجريمة ويصور خطوات هذا الإثم مع إبراز الحيل والأساليب الشيطانية لإخفاء معالم الجريمة هذه الأساليب تزيد المجرم إدراكا على إدراكه وتغرس وتنقش فى حوافظ الأطفال معالم فى سبيل الجريمة فهذه الأساليب التى تبثها وسائل الإعلام يحفظها الناس ثم يطبقها البعض على عشيرته الأقربين لاسيما الوالدين . ولقد شارك هذه الوسائل « المسرح » فلقد ظهرت مسرحيات نالت من قداسة الوالدين التى خلعها الله عليهما كما فى قوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا)(١) .

وقوله تعالى (وقضى ربك أن لاتعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا)(٢) .

---

(١) النساء آية ٣٦

(٢) الإسراء آية ٢٣ ، ٢٤

تلك المسرحيات أصابت قدسية الوالدين بسهام التمثيل مثل مسرحية « العيال كبرت — ومدرسة المشاغبين » وغيرهما وبثها التافاز المصرى .

علاج هذا السبب :

إن القائمين على هذا البلد إذا أرادوا مجتمعا نظيفا خاليا من مثل الجريمة التى هى ميدان حديثنا أن يضعوا لوسائل الإعلام رجالا يخافون الله يميزون بين الحلال والحرام ويفرقون بين المكروه والمباح فبفساد وسائلهم تفسد أمتهم وعليهم أوزارها . وبصلاحها تصلح ولهم أجرها وفى شأن ذلك يقول عليه السلام (من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)(١) .

فالرجال الذين يخشون الله تعالى يرتعدون من سلوكهم إذا باين منهج الله ولذلك دأب عباد الرحمن على الدعاء بقولهم (واجعلنا للمتقين إماما)(٢) .

ومن جهة أخرى هناك مادة علمية ثقافية ترويحية خصبة طيبة وليست سبخة هذه المادة هى التراث الإسلامى والعربى وعلى رأس هذا التراث القرآن والسنة ففيهما القصص الواقعى الذى يخاطب العواطف والعقول ويبث الفضائل بجميع أشكالها ويعالج الرذائل على اختلاف ألوانها ولا يخلق من كثرة البحث وسيظل بكراً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهناك التراث الإسلامى المترع بالبطولات ونجده فى السرايا والغزوات

---

(١) رواه مسلم .

(٢) الفرقان آية ٧٤

والفتوحات . كل هذا التراث ميدان مجهول للقائمين على الإعلام وهذا من ضيق الأفق وقلة الفقه فطفقوا ينشرون قصصا ضحلة جوفاء تحمل لغة لا تليق بأهل الضاد .

السبب الخامس :

بعد الناس عن الدين : فالبشرية تعيش حياة اعترتها حالة من إنعدام الوزن واضطراب فى السلوك فالمادية غشيتهم ، وجانبهم الروحى أصبح متعطشا إلى قانون السماء والمشاكل قد عمت والفتن طمت ومرد ذلك إلى بعدهم عن شرع الله فضاقت عليهم الأرض بما رحبت فقتل الولد أبويه وصارت الفتن كديجور ليل غاب بجره وفى شأن ذلك يقول الله تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)(١) .

يقول الإمام الحافظ ابن كثير فى تفسيره لصدر هذه الآيات (« ومن أعرض عن ذكرى » أى خالف أمرى وما أنزلته على رسولى أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه فإن له معيشة ضنكا أى فى الدنيا فلا طمأنينة له ولا إنشراح لصدره بل صدره حرج لضلاله وإن تنعم ظاهرة ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو فى قلق وحيرة وشك فلا يزال فى ريبة يتردد فهذا من ضنك المعيشة) .

---

(١) طه آية ١٢٤—١٢٦

علاج هذا السبب :

إن هذه الظاهرة التى تدفع البشرية بجنون نحو القمة المادية تكتنفهم الفتن وتغتالهم آلامها . تصعد البشرية لتهوى إلى الحضيض فتفقد قيمتها بين الخلق وهى فى سيرها لا تجد عاصما يحفظ عليها توازنها من التردى . ويحل لها مشاكلها التى تستعصى فإذا ابتغت الوصول للقمة وأرادت أن تتبوأها دون أن يعصف بها الزال أو السقوط فعليها أن تتجه إلى القرآن ففيه العصمة من الزلل وفية المنعة من الفتن وفيه الحلول لجميع المشاكل البشرية قال تعالى (ما فرطنا فى الكتاب من شىء)(١) .

فهناك مشاكل وقضايا عجزت العقول الإنسانية أن تضع لها حلولا . فالقوانين الوضعية لا تملك لها حلا أما الإسلام ففيه كل الحلول فوضع العلاقة بين الإبن والوالدين فى إطار التقديس وكفى المسلمين فخراً اعتراف قضاة فرنسا بالإسلام لحل مشكلة وقعت فى بلدهم . فلقد تزوج شاب فرنسى من فتاة فرنسية حياة زوجية . يعطى الشاب قريبتة قدراً من المال تدير به شئون البيت وأنجبا طفلا ومرض الطفل وزادت أعباء البيت على الزوجة حتى اقترضت دينا . والزوج ممسك لا يعطيها إلا المقدار الذى حدده لها منذ الزواج دون زيادة وأظهر لها أن راتبه لم يزد وحين طاردتها هموم الديون عملت نصف يوم بنصف أجر وفى يوم عادت إلى بيتها فوجدت طفلها مريضا فذهبت به إلى طبيب وأخذت الدواء من محل إلى أجل وعادت إلى بيتها ونامت بجانب ولدها وكانت ليلة باردة ويالها من ليالى الشتاء القارس الذى تتجمد فيه الأنهار فى أوربا . وقامت الزوجة تبحث عن غطاء قديم تضعه فوق الغطاء حتى تشعر هى وولدها بالدفء وعمدت إلى مكان مرتفع يضعون فيه الأثاث الخلق البالى . فوجدت تحته صندوقا

---

(١) الأنعام آية ٣٨

مغلقا بقفل فعالجته حتى فتحته فوجدت فية ثلثمائة ألف فرنك فرنسي فأخذت خمسة آلاف وتركت الباقي فذهبت فأعطت لأصحاب الحقوق حقوقهم وأتت بطعام فأتى الزوج البخيل فوجدها أخذت من هذا المال فرفع ضدها دعوى سرقة واستعانت المرأة بمحام وكان قد درس بعض القوانين العالمية لا سيما الإسلامية وحضر الجميع الجلسة وقام المحامي فقال للقاضي هذه المشكلة حلها النبي محمد في قضية تشبه هذه القضية أتت هند زوج أبي سفيان فقالت (يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح فهل على جناح أن آخذ من ماله ما يكفيني وبني قال خذي بالمعروف)(١) .

قال المحامي إن المتهمة لم تسرق لأنها أخذت جزءاً بسيطا تستعين به على شح زوجها ولو كانت تريد السرقة لأخذت المال كله . فحكم القاضي ببراءتها . وهناك قضية أخرى لو وضعت على بساط الحكم بين الحاذقين للقانون لأعجزتهم فلا يجدون لها حلا . ما يقول أرباب القانون الوضعي في الرجل الذي يزني بجارية إمرأته على سبيل فرض وجود إماء إنهم لا يجدون في جعبتهم حلا كحل الرسول ﷺ لهذه القضية .

(عن سلمة بن المحبق أن رسول الله ﷺ قضى في رجل وقع على جارية إمرأته . إن كان استكرهها فهي حرة وعليه لسيدتها مثلها فإن كان طاوعته فهي له وعليه لسيدتها مثلها)(٢) .

السبب السادس : التفكك الأسري :

يعيش الزوجان حياة سعيدة ثم لا تلبث أن تحدق بهما المشاكل وتغتالها المطالب ويطول أمدها فيغشى الأسرة جو القلق والاضطراب

---

(١) رواه البخاري .
(٢) رواه أبو داود .

فتتفكك أوصالها . أو أن الرجل الشرقى عادة يعتز برجولته فى بيته ويغالى فى هذا الإعتزاز فيرد البيت كالأعصار ويصدر عنه كالزلزال فلا تتحمل الزوجة جبروت زوجها فتتصدع أركان أسرتهما ويتفرق الأولاد فى أحجاء المدن والقرى فينبتون نباتا سيئا فهم أضاحى الآباء والأمهات وهناك أمثلة على ذلك (قالت فتاة فى بلاغها أنها منذ طفولتها ترى الخلافات بين والديها كانت تفتح عينيها كل صباح على صراخ والدتها وضرب والدها لها وفى النهاية انفصل الزوجان وكانت هى الضحية تزوج والدها من أخرى وبعده بشهور تزوجت أمها أيضا ذهبت لتعيش عند والدها . رفضت زوجة أبيها وسقتها العذاب طردها أبوها من منزله إرضاء لزوجته فذهبت لتقيم عند أمها وكانت مضايقات وملاحظات زوج أمها لها ولكنها لم تستجب له فأقسم عليها بألا تقيم معها فى البيت وطردتها أمها من المنزل إرضاء لزوجها وقالت الفتاة أنها سارت فى الشارع هائمة على وجهها لم تجد مكانا يأويها نامت على الرصيف)(١) .

والمثال الثانى : (رفض تلميذ بالإبتدائى شراء بعض زجاجات البيرة لزوج أمه فقامت الأم مع زوجها بضرب الطفل وكيه بالنار . وجهت النيابة تهمة التعذيب للأم وزوجها وأفرجت عنهما بضمان مالى ٢٠٠ جنيه وأمر وكيل نيابة الشرابية بتقديمهما إلى المحاكمة)(٢) .

وهؤلاء الأولاد الذين عصفت بهم هذه العواصف يكفرون بالوالدين وتحت تأثير هذه النشأة قد يعتدى الإبن على أحد والديه بالقتل .

---

(١) الأخبار الصادرة فى ٩ فبراير سنة ١٩٨٥
(٢) الأخبار الصادرة فى ١١ فبراير سنة ١٩٨٥

علاج هذا السبب :

إن الزوج عليه أن يلاطف زوجته ويحسن معاملتها فهى التى تقوم بخدمته وخدمة ولده ويضاجعها فإن أنكر منها خلقا سره منها أخلاق: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يفرك[1] مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضى منها آخر)[2] .

وقال رسول الله ﷺ (استوصوا بالنساء خيرا فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء)[3] .

فعلى الزوج أن يمازح مع زوجته يضحك معها ويتحمل عنها أعباء أولاده فإذا كانت حياتها مليئة بالأعمال تتخللها الآلام فأين تجد راحتها ؟

لقد بين الرسول ﷺ سلوكا نأى عنه الرجل الشرقى ولا سيما العربى المسلم (فعن سعد بن أبى وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل فى فى امرأتك)[4] .

فبهذا السلوك تقوى الرابطة بين الرجل وزوجته ومن جهة أخرى تزداد حسناته . أما من جانب الزوجة فعليها أن تبدو أمام زوجها فى صورة تسره ولا تنفره تنسيه آلامه وتدرأ عنه أحزانه يشعر فى ظلها

---

(١) يفرك : بفتح الياء والراء وسكون الفاء : يبغض .
(٢) رواه مسلم .
(٣) متفق عليه .
(٤) متفق عليه .

بالأنس والأمان تطيعه ولا تعصيه قال عليه السلام (لو كنت آمر أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)(١) .

ولقد علق الرسول ﷺ دخول الزوجة الجنة على رضا زوجها فقال (أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة)(٢) .

فان درجت الحياة الزوجية على هـــذا النهج سعدت الأسرة وإن لم تسر عليه دب الخلاف على أقل الأسباب وعصفت بتلك الأسرة العواصف وهددها شبح الطلاق فتتفكك أوصالها ويتفرق أولادها وربما انتقم ولد من أحد والديه نتيجة قسوة الحياة التى يحياها . تلك هى الأدواء وهذا هو العلاج .

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) المرجع السابق .